وعليهِ فعلامة الجمجمة المميّزة لهم هي ٨٦.— امّا بقيّة تقاطيعهم فراجعهـا في آخر مقالة تفكهة الاذهان (المشرق ٥ : ٥٨٢) واما الذي يميّز هؤلاء الناس عن بقيّة اقوام الاكراد فهو انهُ يُرى على سيمائهم عنفوان الذل والخضوع وامارات التخوُّف والتهيُّب الّا ان هذه الدلائل لا تُزيل ما في مجموع ملامحهم من آثار المآثر والفضائل ممّا لا ترى لهُ اثرًا في طوائف الاكراد

والخلاصة ان في مجموع تقاطيعهم مسحة تترجم عمّا في آدابهم من العفّة والزهـد في اللذات الدنيئة السافلة بخلاف ما قد اشتهر بهِ اغلب الكُرْد من هذا القبيل والسلام

اسداد النيل الجديدة

للاب بطرس دي ڤراجيل اليسوعيّ

٤

فبعد كل ما سبق شرحهُ من اختيار موقع موافق لسدّ النيل في اسوان ارسلت الحكومة المسيو وِلكوكس (M^r W. Willcoks) لمراقبة المكان ونظر صلاحيّتهِ. فكتب في ذلك المقالات الطويلة هو وناظر الريّ الكولونيل روس والكولونيل مُنكريف نائب الكتابة في وزارة النافعة لكنّ آراءهم كانت متضاربة متباينة في تعيين نقطة العمل مع اتّفاق اكثرهم على اسوان واسيوط دون غيرهما

وممّا ثبّط مباشرة الشغل واخّرهُ دَيْنُ الخزينة المصريّة وخوف اصحاب ادارتهِ

تولدوا من اختلاط الزُّنُوج الاصليين بالبيض على تَنَاسُبٍ مختلف وهم ليسوا سُودًا في الأصل بل انما صاروا سودًا او اسودُّوا بالامتزاج ومرّ الزمان)

واما الأَصَلُ فهو من تردَّدت في جمجمتهِ نسبة القطر المُستعرض الى القطر المقدَّم الخَلْفيّ بين ٧٢ و ٧٦ ومن الضُّعُل في السلالة البيضاء الآريُّون الحقيقيُّون (كالهَنَادكة والفرس والافغان والألمان الشمال والانكليزُ الصَّكْصُون والزمنديون والالزاسيون وغيرهم) وكذلك الساميُّون (كالعَرَب واليهود) واما بين الزنج فاغلب الأَجْيَال الكُبرى صَعْلاء . وبين الضُّعُل والفُطْح أقوام وَسَطٌ mésaticéphales وهم متولدون من امتزاج الضُّعُل بالفُطْح

من نفقات جديدة لاسيَّا ان مصاريف المهندسين الانكليز كانت قد بلغت في العشر السنين الاخيرة ٣,٢٥٠,٠٠٠ جنيه لمصالح عموميَّة شتَّى أفما كان ذلك كافياً ؟

وكانت الدول الكبرى ايضاً تعارض هذا المشروع لغاية أُخرى وهو حرصها على آثار جزيرة فيلة وهيا كلها الشهيرة وخصوصاً على تحفة هندسيَّة يتقاطر الزوَّار الى مشاهدتها وهي الكشك الذي نجز بناؤهُ على عهد الملك طرايانوس. ولمَّا كانت هـذه الجزيرة فُوَيق الجنادل الاولى (انظر الصورة في المشرق ٦ : ٧) فمياه الخزَّان بارتفاعها عنـد اسوان ستغمرها لا محالة في مدَّةٍ قسم من السنة. فكثر لذلك القال والقيـل وكتب اصحاب الجرائد المقالات الشديدة اللهجة رشقوا فيها المهندسين بألسنة حداد ونسبوهم الى الهمجيَّة بتدمير ابنية تُعدّ من آيات الهندسة القديمة. فتشكلت لجنـةٌ من علماء العاديَّات للنظر في صيانة هذه الآثار الخطيرة فذهب كلٌّ مذهبهُ دون ان يتَّفقوا على رأي

وفي اثناء ذلك كان المسيو ڤيلكوكس لا يزال يقرّب المشروع ويُثبت منافعـهُ الاقتصاديَّة ويبعث الهمم الميّتة للسرعة في مباشرتهِ حتى تقرَّر الامر في سنة ١٨٩٨ وقدَّم السير كاسل (Sir E. Cassel) ومحـلّ ايرْد (J. Aird) وشركائهِ في ليڤربول ما يحتاج اليهِ العمل من المصاريف وكان الشرط ان يبنى سدَّان الواحد في اسيوط والآخر في اسوان في ظرف خمس سنوات. وهما السدَّان اللذان انجزهما العملة آخرًا تحت نظارة المسيو ڤيلكوكس ثم المسيو ڤاب (A. Webb)

(سدّ اسيوط) فلنبدأ اوَّلاً بوصف هذا السُدّ الذي بُوشر فيهِ في شتاء سنة ١٨٩٨. وطول هذا الخزَّان يبلغ نحو ٨٠٠ متر وهو يتركَّب من ١١١ قنطرة بينها تُرع سعتها خمسة امتار ونصف تُقفَل بابواب من حديد ورصيف الخزَّان مع قناطرهِ راكز على سطح سمكهُ ٣ امتار و٤٠ س في ٢٩ مترًا عرضاً يصونهُ سورٌ من اساطين معدنيَّة متواصلة مغروسة في الارض الى عمق سبعة امتار تحت قاع النهر لئلاَّ تتحلَّب المياه الى الاساس فتنقضهُ او توهن دعائمهُ كما حصل في خزَّان الدلتا وكذلك فُرش مسيل النهر وجانباهُ ببلاطٍ قُلفط بالخزف لئلاَّ تنفذ المياه اليهِ. امَّا علوّ السدّ فوق السطح المذكور فهو ١٨ مترًا و٧٠ س

قال السير باكر (Sir B. Baker): ولعلَّ الذي يرسم صورة الخزَّان على القرطاس

لا يرى في الامر مشقّةً ولكنَّ شتّان بين النظريّات والعمليّات. فانّنا في طول مدّة الشغل اضطرّتنا الحال الى ردّ هجمات خصمٍ كان لا يدع لنا راحةً ليلًا مع نهار ألا وهو عنصر الماء الذي كان يتهدّد مساعينا بالخراب بلا مَلَل ولا سأم. فلردّ غاراتهِ كنّا نترصّد كلّ حركاتهِ لئلاّ يفجأنا بمكايدهِ الخفيّة. ولمّا كان للنيل قوانين ثابتة في فيضانهِ الذي يتمّ في شهور الصيف كان يجب علينا أن نسرع العمل في مدّة الشهور التي تتناقص فيها المياه حتى اذا حان وقت الفيضان يقوى قسم البناء المنتهى على صدَمات النهر عند زيادتهِ »

وهاك فصلًا عن طريقة العمل في خزّان اسيوط. فانهُ عند انتهاء الفيضان في تشرين الاوّل كان العَمَلة ينقلون الى النهر حيث تحتّم الشغل اكياساً مملوّةً من الرمل فيجعلونها كوماً مرصوصةً على شكل مستدير تُحاط بها الاخشاب وتُطلى بالطين. ثم تُستخرج المياه الباقية في ضمن الدائرة بطلمبات فتُصبّ خارجاً الى ان تيبس الارض ثم يُحفر الرمل عميقاً وتُغرس فيهِ اجزاز المعدن الضخمة ثم يُبنى السطح بناء متيناً حتى لا يتلفهُ الفيضان في تموز

وكان الشغل يزيد مشقّة على قدر اقتراب وقت الفيضان ففي شهري سنة ١٩٠٠ كان المهندسون يراقبون العمل بلا انقطاع وتحت امرهم ١٣٠٠٠ عامل يشتغلون في حرّ يبلغ ٤٠° درجة من المقياس المئويّ الى ٤٥° وكان عدد الطلمبات سبعة عشرة تُنبط كمّيّةً من المياه كافية لألفي ألف نفس امّا اكياس الرمل القائمة في وجه المياه متّسقةً منظمةً على خمسة صفوف بل عشرة وعشرين صفًّا فبلغ عددها مليوناً ونصف مليون. وكان الرمل في اثناء العمل ينهار ويتساقط وربّما تداعت بسبب انهيارهِ اقسام البناء المُنجزَة فيحتاج العملة الى فتح آبار يصبُّون فيها كلساً وملاطاً ليقوّوا ما تصدّع منها. وكان ضغط الماء في محل مسيلهِ ينفذ في اعماق الارض فيفتح لهُ نبوعاً في وسط مساحة الشغل وبلغ عدد هذه النبوع نحو الالف لزمهم سدُّها بسرعةٍ وعلى طرائق مختلفة وبعد النفقات الطائلة

ومع كل هذه المشاكل والعوائق كان الشغل جاريًا مجراهُ بل تمّ بزمن قريب لم يكن الآمال لتبلغهُ فان الخزّانين كليهما نجزا قبل الوقت المعهود باكثر من سنةٍ

وخزّان اسيوط هذه يضمن منذ الآن ريّ زروع مصر الوسطى وبلاد الفيّوم وبهِ يعلو سطح مياه ترعة الابراهيميّة ويوفّر للزرع ١٢٠٠ كيلو متر مربع

(سدّ اسوان) امّا سدّ اسوان الذي جرت حفلة افتتاحهِ في ١٠ من الشهر المنصرم فقد كان الدوك دوكونوت وضع حجرهُ الاول في ١٢ شباط من سنة ١٨٩٩ . وهذا الخزّان اعظم قدرًا واخطر شأنًا من خزّان اسيوط فانّ موقعهُ على مسافة ٩٦٠ كيلو مترًا من القاهرة حيث النيل يجري في شبه حوضٍ طبيعيّ محصورًا بين ضفّتين من حجارة الصوّان المحبَّب نافذًا بين الجنادل التي منها يتركّب الشلّال الاوّل

وهذه النقطة كانت استلفتت منذ بداءة العمل انظار المهندسين حتى انّ المسيو ڤيلكوكس كان فكّر اوّلًا في ان يبني على الجزائر التي هناك اسدادًا عديدة تجمع الجنادل الى بعضها فتكون قائمة في وجه المياه على شكل مستدير محدَّب . وهو لا يزال يرجّح ان هذا العمل كان اثبت وامتن لو فُضِّل

وعلى كل فان الخزّان الحاضر على صورة خطّ مستقيم طولهُ كيلو متران واستقامة خطّهِ هذه ازالت كثيرًا من صعوبات العمل ولعلّها تضمن لهُ ثباتهُ ايضًا لانّ البعض يظنّون انّ الخطّ المستقيم اصلح من غيرهِ في البلاد الحارّة حيث الابنية تتمدّد بقوة الحرارة

واصعب ما قُضي عملهُ على المهندسين في اسوان ان يضعوا اساسًا للبناء ويركّبوا قواعدهُ . لانهُ كان يترتّب عليهم ان يكسروا سورة المياه ويفتحوا لها مجازًا موقّتًا مدّة ولكن كيف تُضبَط قوّة هذه المياه في منحدرٍ يبلغ فيهِ سرعتها الى ٢٤ كيلو مترًا في الساعة ؟ فبعد الرويّة والفكر لم يجدوا لفكّ هذا المشكل الّا ان يُنحُوا معظم المياه عن مسيلها ويجعلوا لها تُرَعًا عميقة تجري فيها . فحفروا هذه الترع وحصّنوها بحجارة ضخمة بلغ ثقلها ٥٠٠٠ كيلو مشدود بعضها بالبعض بقلوس من الفولاذ وزنها خمسون طنًا . وقد بلغت احدى هذه الترع عشرة امتار عمقًا

فلمّا خفّت بذلك سطوة المياه باشروا بالعمل كما فعلوا بسدّ اسيوط اعني انّهم حلّقوا حول مكان الشغل اكياسًا من الرمل ثمّ سحبوا ما بقي في ضمن هذه الحلقة من المياه بالطلمبات فنشّفوا المكان واخذوا بالحفر

وكان الذين سبروا موقع هذا السُدّ بعد الفحص المدقّق اكّدوا انّ قاع النيل في هذا المحلّ يتركّب كلّهُ من الصوّان الاصمّ وحجر الديوريت الصلد وعليهِ فيكون اساس الخزّان غاية في الصلابة لكنّ هذا القول لم يصحّ من كلّ وجه لانهُ لمّا كشفوا قاع

النيـل وجدوا قسماً منهُ يتركَّب من تربة خوَّارة من حجر الطلق (mica) الذي لا يصلح لمثل هذا البناء

فكادت الآمال تحبط بهـذا الاكتشاف غير المنتظر لولا انَّ اللورد كرمر نشَّط العزائم وبعث الهمم فحُفرت الأُسس العميقة الى ان وجدوا في قلب الارض الجلاميـد الصمَّاء. وذلك في بعض الامكنة على عمق ١٣ متراً فبنوا عليهـا الاساس الذي كان سمكهُ في اسفلهِ ٣٣ متراً. فزادت بذلك النفقات زيادةً عظيمة لم تجرِ على بال

على انَّ العمـل تمَّ بعد ذلك دون حادثٍ آخر مكدّر الى ان نجز كما هو اليوم. وطول هذا السدّ كيلو متران وهو يتركَّب من حائط ذي منحدرَين وفي اعلاه سطح عرضهُ متران. واعلى نقطةٍ فيهِ اذا حسبتَ الاساس تبلغ ٤٣ متراً و٣٥ س وعلوّ الجدار فوق منافذ المياه ٢٢ متراً. امَّا ثقل البناء فيبلغ مليوناً من الطن

وقد أتخذ اصحاب البناء الحجر الصوَّان الذي مقالعهُ في تلك النواحي (راجع المشرق ٥: ١٠٠٠) لاساس هذا الحزَّان وطانوهُ بملاط بورتلند الصلب. امَّا قلب البناء فحشوَ بمركَّب متين من الكلس والرمل والحصى جُبلت دقائقها ببعضهـا فصارت كالحجريَّة. ويتركَّب جانبا الحزَّان من حجارة مكعَّبة ضخمة غير محكمة النحت بخلاف مجاري المياه المفتوحة فيهِ فانَّها مفروشة برخام مصقول

وهذه المجاري او مفاتيح المياه عددها ١٨٠ جُعلت على هندام يروق في العـين ١٤٠ منها تبلغ سَعَتُها ٧ امتار و ٣٠ س ارتفاعاً في عرض مترين و ٢٥ س. وباقيهـا على نصف هذا الارتفاع. ويجري فتح هذه المجاري بالكهرباء وابوابها على طراز ستوني (Stoney) ذي المحادل واكبرها وزنهُ ١٤ طنًّا يُفتَح باليد ولو ضغطَتْهُ المياه ضغطاً قدرُهُ ٤٥٠ طنًّا

وفي غربي الحزَّان على ضفَّتهِ الشماليَّة تُرعة للمراكب لها اربعة حواجز كلّ حاجز عرضهُ عشرة امتار و ٧٠ س وعلوّهُ ٢٠ متراً. وهـذه الحواجز على شكل خصوصيّ يدور قسمها الاعلى وتتنحَّى جانباً على منوال بعض الرُّتج. وقد فُضلت هذه الطريقة لانها ضامنة للصلابة فتقوى على حَبس الف مليون طنّ من الميـاه. وكلّ حاجز من هذه الحواجز كافٍ لهذه المهنة ولو تلفت الحواجز الاخرى الثلثة. والحقّ يقـال انَّ المهندس المسيو ستوكس (W. Stokes) اظهر في هذا العمل براعةً لا نظير لها. ومما

لا يسعنا الاضراب عنهُ ما افرغهُ نظَّار العمل وعمَلتهم من النشاط الغريب فانَّ البنَّائين في بعض الأيام اصطنعوا الى ٣٦٠٠ طنّ من البناء. وكان يساعدهم على العمل ثلاث سكك حديديَّة وكان عدد عظيم من الآلات البخاريَّة وغيرها ينقل الموادّ اللازمنة للبناء من المقالع الى محلّ الشغل. وقد بلغ في بعض الاحيان عدد العَمَلة في اليوم الواحد ١١٠٠٠ عامل

وفي آخر تشرين الاوَّل بعد الفيضان أُقفلت المفاتيح وتزل مجرى النيل الى ٢٠٠٠ متر مكعَّب في الدقيقة. امَّا الخزَّان فاخذ يمتلئ شيئاً فشيئاً. وقد حسب الحُسَّاب انَّ المياه بارتفاعها سوف تتقهقر الى ٣٠ كيلو مترًا مندحرة الى جنوبي اسوان فيكون هذا الحوض خازنًا مئة مليون متر مكعَّب من الماء. ولا بأس اذا غُمرت بعض الاراضي فانَّ النيل سيُخصب بدلًا منها ٢,٤٠٠,٠٠٠ متر مربَّع من المفاوز البائرة ويسقي بلادًا واسعة في شهر أيَّار وحزيران فضلًا عن كونهِ يسهّل الاسفار للمراكب الصاعدة الى جهات السودان

٥

قد فهمت ممَّا تقدَّم شرحهُ انَّ المنافع التي كان يقصدها المصريُّون بابتناء خزَّاني اسيوط واسوان كادوا ينالوها فيحققوا رأي المسيو پرومت (راجع ص ٨) وآمالهُ. فمذ اليوم صارت مصر واثقة بمستقبل اهلها وحياتهم ولن يعود احدٌ يقرأ على صفحات التاريخ ما دوَّنهُ الفرعون زوسيري احد ملوك السلالة الثالثة على الحجارة انَّ مصر اصابتها المجاعة سبع سنين لنقص مياه النيل (راجع قصَّة يوسف). وكذلك قد اقترَّ ثغر الزراعة بهذا العمل فانهُ ليس فقط ستزيد المزارع القديمة خصباً بل يتسع نطاق الزراعة في صحاري كان سائدًا عليها ملك الرمال. امَّا التجارة فستقوم على ساق لانَّ ضفَّتي النيل من الصعيد الى السودان تصيبان عمًّا قليل حياة جديدة فتُمَصَّر الامصار وتُبنى القرى والدساكر فتُنقَل حاصلات البلاد الداخليَّة الى البحر المتوسّط ومنهُ اليها واردات العالم كلِّهِ وتُصبح السودان لاحقةً بمصر لا يفصل البلدين عدوّ او خارجيّ

ولمَّا كان اتّصال السودان بمصر لا ينجز تمامًا الَّا باتّخاذ أسداد أُخرى للنيل لا يمكننا ان نختم هذه المقالة دون ان نذكر شيئاً ممَّا يقصدهُ ارباب الامر من هذا القبيل

قلنا انَّ خزَّاني اسيوط واسوان ليسا الَّا مقدّمةً لمشروع آخر اعظم شأنًا واوسع

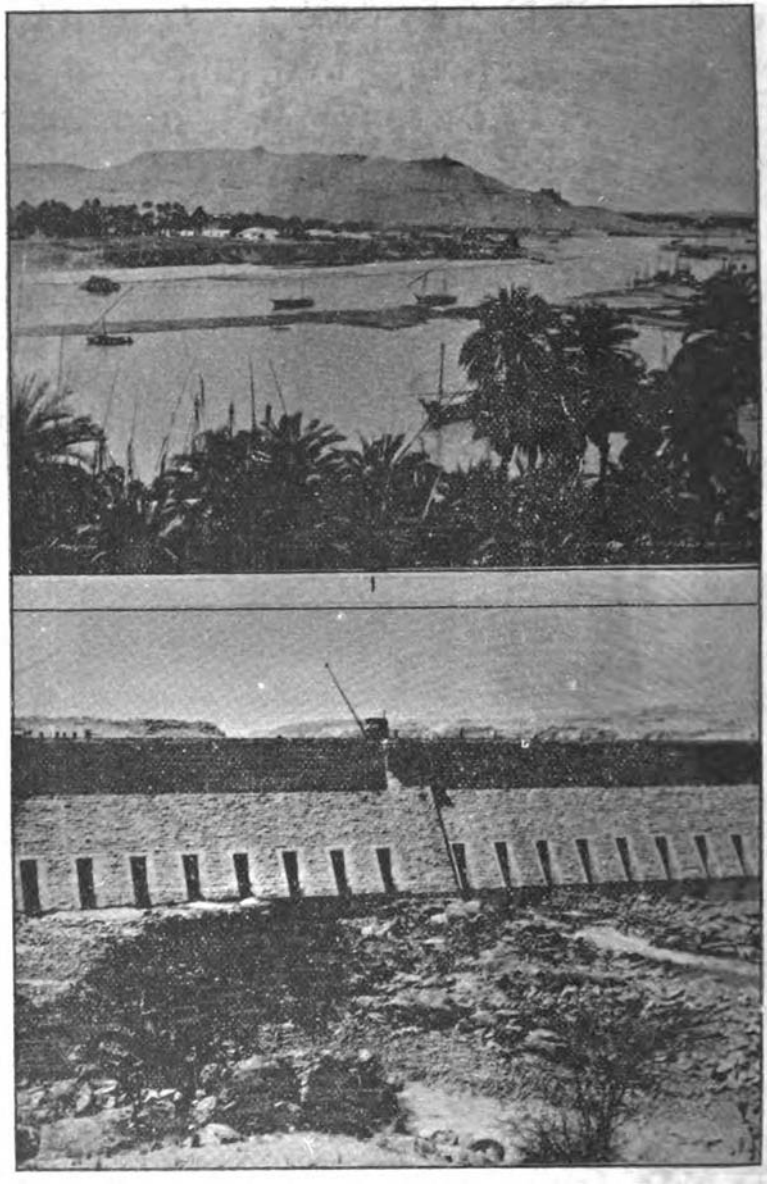

١ منظر اسوان ونواحيها ٢ قسم من خزّان اسوان

نفعاً . فانَّ المتولين على مصر يؤمّلون قريباً ابتناء خزّانَيْن آخرين احدهما في وادي حلفا في حدود مصر والسودان لريّ بلاد النوبة والاخر في خرطوم عند الشلاّل السادس لسقي السودان وبهما يصبح كلا البلدين في مأمن من القحط والمجاعة ابد الدهر . ولا يبعد انَّ مهندسي الانكليز يباشرون بهما بعد زمن قليل

غير ان المسيو ولكوكس لا يكتفي بان يخصب مصر والسودان فانهُ يريد ان يجعل النيل الاعلى في قبضة المصريين كما يملك صاحب الملك رأس العين ليتصرَّف بمياهها كيف شاء . ولمَّا كان النيل يخرج من ثلاثة مصادر عظيمة اعني بحيرة تسانا في بلاد الحبش ومنها النيل الازرق ثم بحيرتي فيكتوريا نيانزا والبرت وراء خطّ الاستواء ومنهما النيل الابيض عرض المسيو ولكوكس على ارباب الامر اصطناع احواضٍ أُخرى في مجاري النيل الثلاثة بحيث تُخزَن كل مياههِ في مصادرهِ المختلفة فلا يبقى خوف البتَّة على مستقبل مصر والسودان وعلى هذا النمط تُصبح المستعمرات الانكليزيَّة في اواسط افريقية كبحر الغزال والاوغندة امصاراً غنيَّة يحيم فوقها التمدُّن

هذه نيَّات المسيو ولكوكس يصرّح بها الآن ويكتب للمدافعة عنها المقالات المطوَّلة . الَّا انَّ هذا الكاتب يغويهِ التعصُّب لوطنهِ وهو لا يرى ما وراء تحقيق هذه النيَّات من العَقَبات . فنشدتك الله ايرضى ملك الحبش بان يُقام في بلادهِ خزّان يتولَّى ادارتهُ الغرباء . امَّا بحيرة فيكتوريا فاذا أُقيم لها سدّ سترتفع المياه وتغمر المستعمرات الالمانيَّة التي بقربها والمانية لا ترضى بذلك مطلقاً . فلا يبقى الَّا البحيرة البرت يمكن ابتناء حوضٍ عندها . فهل يا ترى يخرج المشروع يوماً الى حيّز الوجود فالامر تحت ريبٍ لاسيَّما انَّ المنافع التي تنتج عن هذا الاسداد ليست كلُّها خالصة الفائدة فاذا نفعت بلداً ربَّما اضرَّت غيرهُ

وها انَّ سدَّ اسوان نفسهُ يرى فيهِ ذوو النظر شوائب تُنقص من قدرهِ . منها ما قلنا عن آثار جزيرة فيلة التي تغطيها المياه مدَّة من السنة ولعلَّها تتلفها مع الزمان رغماً عمَّا أُتخذ لصيانتها من الاحتياطات . ومنها انَّ المياه المرصودة وراء الخزّان تبقى اشهراً طويلاً راكدةً على شبه المستنقعات أفلا تفسد هذه المياه ويحصل عنها حمّيات تجعل الجهات المجاورة لها غير مسكونةٍ . ومنها ايضاً انَّ اهل النوبة الذين لاجل قهرهم لم يدفعوا حتى الآن الَّا خراجاً خفيفاً لا يلبثون عمَّا قليل ان يصبحوا

عرضةً لمطامع المكّاسين والجُباة فتُزاد فرائضهم ويستولي على املاكهم اهل الثروة

هذه بعض ملاحظات جاهر بها اهل الاعتبار رويناها كما عرضوها. ونحن نشكر لكل من وقفوا حياتهم واتعابهم في سبيل نجاح مصر سواءٌ كانوا من اهلها الوطنيين او من الاجانب لاسيَّما ارباب الهندسة الفرنسويين والانكليز الذين اروونا عياناً ما لم نكن نرجو بروزهُ الى عالم الكون والله الموفق للصواب

يمين العليّ

رواية تاريخية للاب س. ت اليسوعيّ (تابع)

الفصل الثاني

الضابط راسبوس روفوس (١

مرَّ الضابط الروماني بقرب محفَّة يهوديت فما توارت عن عيانهِ حتى ركض فرسهُ الى جهة بيروت فاجتازها على جوادهِ مسرعاً وهو ينحي بقضيبهِ كلَّ من يثبطهُ في سيرهِ

وكان الناس يتأهبون لزينة الليل فيعلّقون القناديل ويضفرون اكاليل الغار ويعدّون المشاعل ليشاطروا العالم الروماني بافراحهِ. وكان لاهل بيروت سبب خصوصيّ يدعوهم الى اقامة هذه الحفلة البهجة لانهم كانوا عرفوا القيصر الجديد قسبسيانوس ورأوهُ في مدينتهم حيث اتاهُ الوفود ليبايعوهُ بملك رومية (٢

لكنَّ الضابط لم يُعِر بالهُ لهذه التأهُبات وعجَّل سائراً الى الباب الشرقيّ ومنهُ صعد الى ربوة مشرفة على البلدة وعلى نهر ماغوراس (نهر بيروت) معاً وكانت هذه الاكمة مزدانة بالدور الجميلة والمنازل الفخيمة يسكنها اهل اعيان البلد وضبّاط الجند. وكان في طريقهِ يرى اهل المزارع لابسين ثياب العيد ومسرعين الى المدينة ليشاهدوا الزينة فاذا واجههُ خفضوا اصواتهم وناجى بعضهم بعضاً مومئين اليهِ

---

١) وباللّاتينيَّة Ræcius Rufus وهو اسمٌ تاريخيّ وكذلك اكثر الاسماء التي نبني عليها روايتنا فانَّها تاريخيَّة

٢) رجع تاريخ يوسفوس (الحرب اليهوديَّة ك ٤ ف ١٠ ع ٦) وتاريخ تقيتوس (٢ : ٨٠)